ظاهره الواضح.

وسواء كان المستحسن مستحسن جماعة أو مستحسن فرد من محسوس أو متخيل لايمكننا تعليل وجه الاستحسان في كل شيء ولكن نعلم ان العلة العامة فى استحسان الاشياء هي مناسبة تنقدح فى النفوس . ونعلم ان استحسان كل شيء علة محبته والاهتمام به على مقدار درجة المحبة (اذلها درجات) . ونعلم ان هذه الاستحسانات من حيث هي — طبيعية فى النوع . ونعلم انها هي التي أوصلت مصانع الانسان الى هذه الصورة الباهرة الساحرة. ونعلم ان هذه المصانع من الميزات العظمى لهذا النوع. ونعلم ان الانسان سيتسامى رقيه مادام يستحسن ويسعى وراء مايستحسنه باهتمام يسوق، وأمل يقود، وعزم يعين.

باب التربية والتعليم

شكوى الامهات من تربية البنات

لما نشر المقطم شكوى نساء الانكليز من تربية بناتهن فى هذا العصر طلب ان يعرف رأي الامهات فى بناتهن فى مصر فكتب اليه من بعضهن الشكوى فى إثر الشكوى من سوء حال تربية البنات المتعلمات وكونهن لايحفلن بغير اللهو والزينة والعزف بالبيانو ونحو ذلك من الترهات. ولم تصادف هذه الشكوى أقل اهتمام من البنات ولا دفاع عن أنفسهن وقد توالى الحث عليهن من المقطم وكثر الترغيب حتى جاءه رسالتان من بلدين قال انه لم يرد منهما شكاوى من الامهات إحداهما بامضاء «ابنة قبطية» والثانية بامضاء «ابنة شاكرة» وفحوى الرسالتين واحد وهو ان الذنب فى كل ماتشكو منه الامهات عليهن وعلى الآباء في عدم العناية بتربية البنات والاعتراف بأن التعليم لايغني عن التربية شيئاً وان كان فى نفسه نافعاً.

ولا يزال المقطم يثير كوامن الرغبات، ويحرك سواكن هم البنات، ونظن انه اذا تناول الكنائن، وبعثرت الدفائن، وقار فى الجدل التنور، وحصل مافى الصدور، فانه لايكتب فى الجرائد شيء يخرج عن معنى ماكتب الا ان تفتخر بنت بأنها أصلحت

من بيت أبيها ما كان فاسدا ، ونظمت ما كان مختلا ، أو تفتخر أم بأن بنتها كذلك ، وسواء كتب هذا أو بقي الفريقان متفقين على سوء تربية البنات ، وعلى كون الذنب في ذلك على الآباء والامهات ، فان الحقيقة في مجموع الشعب المصري لاتظهر بمثل هذه الرسائل لاسيما مع الظن الراجح بأن أكثر صواحبها من السوريات ثم من القبط ، والسوريات لهن أخلاق وراثية وعادات تقليدية ليست للمصريات وان كانت مجرتهن الى مصر من زمن بعيد وربى بناتهن في مصر وتعلمن فيها ، وأما نساء القبط وبناتهن فيشاركن المسلمات المصريات في بعض الشؤن ويفارقهن في بعضها ، ومسافة الخلف في المتعلمات من الطائفتين أوسع فان القبطيات المتعلمات يمزقن الحجاب ويحضرن مجالس الرجال في زينتهن كنساء الافرنج بلا فرق فلابد أن يكون لذلك أثر في سيرتهن لايعرف في المسلمات اللواتي من أكثر أهل البلاد ،

ويوجد سبب آخر للخلف حتى في بنات الطائفة الواحدة وهو اختلاف معاهد التعليم فان من البنات المتعلمات من تعلمت في مدارس الحكومة ومنهن من تعلمت في مدارس الجزويت أو الفرير ومنهن من تعلمت في مدارس البروتستانت الامريكان أو غيرهم ومنهن من تعلمت في المدارس الاهلية الاسلامية أو القبطية . ولكل نوع من هذه المدارس تأثير خاص في نفوس من يتعلم فيها يحدث خلفا كبيرا في الاخلاق والعادات والرغبات

انظر الى هذه الفصول بين طبقات الامة المصرية هل تجد مثلها في انكلترا التي يحاولون في هذه المقام ان يسلكوا طريقها في اختبار حال البيوت ومعرفة تأثير التربية في البنات . الأمة هنالك واحدة والمدارس طريقة واحدة والتربية العامة نظام واحد فاذا شكا بعض نساء الانكليز من تربية بناتهن فلك أن تعتبر شكواهن ميزانا للتربية في الامة وان تقول ان مايصدق على هؤلاء يصدق على من في طبقتهن فاذا رأيت الشكوى من جميع الطبقات فلك أن تحكم على الامة في مجموعها بما تضمنته الشكوى حتى اذا استثنى بعض الافراد كان ذلك لاسباب خاصة فان القواعد الاجتماعية لاتستغرق جميع أفراد الامم والشذوذ فيها مطرد

اذا سألنا عن حال البنات المتعلمات في البيوت هل هن قرة عين لامهاتهن أم لا

فلا بد لنا من معرفة الجواب عن ذلك من الرجال المتعلمين المختبرين . والذي يقرب من النظر ويؤيده الخبران تعلم البنات في مصر سطحي كما يقولون وانه عند من ضرب من ضروب الزينة فهو في الغالب يشغلهن عن مساعدة أمهاتهن على تدبير المنزل وخدمة البيت ومنهن من يعتقدن أنهن أرفع منزلة من ذلك . اما حال الامهات معهن فيختلف باختلاف الطبقات فاليوت الغنية يرضى الامهات فيها ان يرين بناتهن مشغولات بالزينة في جميع الاوقات وان يكنّ ممتازات بمعرفة مالا يعرفه سائر البنات من اتقان اللغات الاجنبية واحسان العزف بالبيانو والتفنن في بدع الزينة . ويعتقدن ان هذه المزايا هي المرغبات الكبرى لمريدي الزواج . والاسباب الصحيحة للسعادة والابتهاج .

وأما البيوت التي يحتاج فيها لمساعدة البنات والتي يسر على أصحابها موافقة رغباتهن الجديدة التي أحدثها التعليم الجديد فلا شك ان الامهات فيها يتبرمن من تقصير البنات في مساعدتهن على تدبير المنزل وتربية الاطفال ولكنهن يكتمن ذلك في الغالب ولا يبدينه الا ان يسهل عليهن اطلاعه على عوراتهن ، ووقوفه على مساويهن .

اعتذر بعض الرجال عن البنات بمثل ما اعتذر به الكاتبتان صاحبتا الرسالتين في المقطم بأن الذنب على الوالدين لا على البنات فانهما يعلمان بناتهما الا انهما لا يربيانهن وحسن الحال في المعيشة وكل أعمال الحياة يتوقف على التربية أكثر من توقفه على التعليم لا سيما تعليم المدارس الذي أكثره فيما لا عمل فيه ، إذ بالتربية يكون تمرين الاعضاء على العمل ، وبالتربية تتكون الاخلاق والعادات الحاكمة على الارادة . والارادة هي التي تنفذ ما يقضي به العلم ويظهر وجه المصلحة فيه فمن لا تربية له لا ينفعه علمه الذي تعلمه في مدرسة العلم ولا علمه الذي تعلمه في مدرسة الوجود لان العلم عنده يكون صورا خيالية تلوح في ذهنه ثم تغيب .

وأقول ان هذا العذر على صحته لم يصب موقعه من تبرئة البنات المتعلمات لأن القصد من تعليمهن اصلاح البيوت التي أفسدها جهل أمهاتهن فاذا كان علم المدرسة يفيد البنت الكسل ، ويزيدها اعراضا عن العمل ، ويبغض اليها عادات أهلها وقومها نافعة كانت أو ضارة ، ويحبب اليها تقليد قوم آخرين في الزينة والترف وان أعجز الوصول اليها أباها وأمها — فلا شك ان هذا التعليم سم قاتل ، وبلاء نازل ، وان تركه واجب .

ومقاومته ضربة لازب ،

السبب الحقيقي في سوء حال البنات المتعلمات وسوء حال غير المتعلمات هو — كما قيل — سوء التربية العامة أو ترك التربية الصحيحة النافعة. ولكن أليس من الضروري ان يكون سوء الاخلاق الذميمة ، وفتك العادات الرديئة ، أقل تأثيرا في نفس المتعلمة منه في نفس غيرها ؟ أليست فائدة العلم الكبرى مساعدة التربية لان المتعلم يحكم على ما عليه الناس بغير ما يحكم به الجاهل فيميز بين الضار والنافع ، والصالح والفاسد . أليس التعلم هو تربية للعقل الذي هو أفضل القوى النفسية . فاذا امتازت البنت على أمها بالعقل وصحة الحكم على الامور وعرفت من الحقوق ما لا تعرف ، وساوتها في ضعف الارادة ، والخضوع لسلطان العادة ، أليس من المعقول ان يتنازع ما به الامتياز وما به التساوي فيقوى هذا تارة وهذا تارة ويكون ترجيح العقل فيما غلب فيه مبدأ دخول الاصلاح المطلوب ؟؟

بلى ان اصلاح حال الامم يجري في هذه السبيل ولو كان التعليم في هذه البلاد يقصد به الى اصلاحها لارتقت في الاخلاق والاعمال كما ارتقت في التعليم على أكثر بلاد المشرق . والامر بخلاف ذلك فان أخلاق الناس في كل بلاد نعرفها أرق من أخلاق أهل هذه البلاد كما ان عاداتهم أمثل من عاداتهم ، على ان التعليم هنا أكثر انتشاراً منه في تلك البلاد التي نعنيها والمصريون الذين سافروا الى تلك البلاد يعرفون هذا وينطقون به . وأعجب من هذا ان أكثر الفساد والفجور لم ينتشر في اكناف هذه البلاد ويتغلل في أحشائها الا بالمتعلمين فكأنهم لم يتعلموا لاجل العمل الا شرب الخمور ولعب الميسر والتفنن في الزينة والانغماس في الشهوة البهيمية حاشا نفرا يعدون على الاناملهم الذين أفادهم العلم وحدهم من الوف المتعلمين

السبب في هذا ان العلم الذي يعلم في المدارس المصرية — سواء كانت للحكومة أو للاجانب أو للاهلين — لم يقصد به الى إصلاح النفوس وارتقائها وجعل المصريين سعداء أعزاء فان مثل هذا القصد لا يأتي الا ممن يغارون على الامة ويرون سعادتهم بسعادتها وعزهم بعزها ، ورؤساء الحكومة المصرية ليسوا كذلك ، والجزويت والفرير والامريكان ليسوا كذلك ، ومنشئوا المدارس الاهلية كان يجب ان يكونوا كذلك ولكنهم ليسوا كذلك . وهذا شيء يعرفه كل أهل البصيرة في مصر وربما نشرحه في مقالة أخرى

تبين من هذا ان قلة استفادة البنات من التعليم سببها انه لم يقصد به اصلاحهن ولا إعدادهن لاصلاح بيوتهن فان هذا التعليم جاء من الافرنج وزمامه بأيديهم في مدارسهم ومدارس الحكومة التي هم قوّام عليها (والمدارس الاهلية مقلدة لهذه المدارس تقليداً أعمى أصم) وإنما يقصد الافرنج جذب نساء هذه البلاد الى النطق بلغاتهم ، والتزيي بأزياء نسائهم ، واستحسان عادات قومهم وتعظيم شؤنهم ، ليقبضوا من صدور الامة حب جنسها ووطنها ويقطعوا جميع روابطها الملية فتكون طعمة لهم . ومن تراه انتفع بتعليمهم من ذكر وانثى وصلح حاله فاعلم ان ذلك كان بمعونة استعداد فطري عظيم وتربية محمودة وتوفيق الهي أمام ذلك ووراءه

والنتيجة انه لا يرجى ان نستفيد من تعليم البنات ولا تعليم الذكور ما يصلح به شأننا وترتقي به أمتنا الا اذا وجدت عندنا مدارس يتولى ادارتها رجال يهمهم إصلاح الامة وإعلاء شأنها . وقد وفق القبط الى هذا أكثر مما وفق المسلمون ، فاذا نهضت بهؤلاء الهمة الى إنشاء مدرسة كلية تناط إدارتها برجال الجمعية الخيرية الذين أثبتوا لنا بثباتهم على خدمة الامة انهم خير رجالها فبشرهم بالنجاح العاجل ، والخير الآجل ، والا كانوا على خطر عظيم ربما لا يتنبهون له الا بعد فوت الفرصة ، ووقوع الفصة ، والامر لله العلي الكبير

التقريظ

(ارشاد الالبا * الى طريق تعليم الف با)

في أيدي الناس ألوف من الكتب المؤلفة في العلوم والفنون ولكن أكثرها متشابه لان بعضها في الغالب منقول من بعض مع اختصار مخل أو غير مخل وزيادة منارة أو نافعة وكيفما كان هذا التأليف فهو تقليد من المتأخر للمتقدم منهم من أحسنه ومنهم من أساء فيه وسواء كان التقليد متقنا أو غير متقن فهو ليس من العلم في شيء والمقلد لا يكون عالما ولا مفيدا للعلم ولا مستفيدا له وانما ينتفع بكلام العلماء ومباحثهم